بالمسالك والدروب دون أن يشعر بيأس أو فتور ، ولا يسمح القارئ إلا أن يمضي قدما في القراءة حتى يصل إلى الخاتمة

ولا يسعني في هذا المقبل إلا أن أشير على أولئك الذين يفشون سموم المبادئ الهدامة بين الطبقات الجاهلة ، أولئك المهيمنون الذين تنطق ولا تعرف ما تقول .. أن يقرءوا ويتدبروا الفصل القيم الخاص بالديمقراطية الاقتصادية ؛ ومن الخير أن يقرأ أولئك المتعصبون على الإسلام والمسلمين ذلك الفصل النفيس « مع الأجانب » ليعرفوا مدى تسامح الإسلام والمسلمين مع الأجانب .. ولن يقرأ أولئك المتعصبون ذلك الفصل إلا إذا ترجم الكتاب إلى الأوربية ، ولعل الحاذقين لهذه اللغات ينهضون بهذا العمل الجليل ، ولن أنسى ذلك الفصل الممتع « أقوال المفكرين الإسلاميين » وفيه عرض واضح على الإمامة والسياسة في الإسلام ، إلا أن لي ملاحظة واحدة ، وهي أن أستاذنا الكبير أتى بجزء من وصية الإمام علي بن أبي طالب لمالك بن الحارث الأشتر النخعي حين ولاه مصر ، وهذه الوصية منسوبة إلى الإمام علي فيما نسب إليه . نعم ، إن الوصية ليست من كلام الإمام علي ، وإنما هي بكلام العباسيين أشبه ، لأن الكتابة المطولة لم تكن معروفة في العصر الأول من الإسلام ولم تكن لدى الإمام علي سعة الوقت وهدوء البال ليكتب هذا العهد المسرف في الطول ، وما كان أجدر أستاذنا الكبير أن يحقق هذه المسألة وهو على ذلك قدير إن أراد

على أن مثل هذه المسألة التي تدل على وجهة نظر خاصة بي ، لا يمكن أن تقلل من قيمة هذا الكتاب القيم على ما به من أخطاء مطبعية يقع اللوم كله فيها على عاتق دار المعارف التي عودتنا أن ترى مطبوعاتها في حلل قشيبة من الطبع الأنيق الصحيح

ولن أضع القلم قبل أن أرفع إلى أستاذنا العقاد تحية ملؤها الإكبار والإجلال ، داعيا الله أن ينسئ في عمره ليمد المكتبة العربية بنفائس الكتب وفرائد المؤلفات

عبد الرازق عبد ربه

خواطر « في فن الأدب »

تأليف الدكتور توفيق الحكيم بك

للأستاذ أسماعيل كوكب

في الأمثلة الجارية : الكتاب يقرأ من عنوانه : يقال هذا في المقابلات وفي المعاملات وفي ظواهر الأشياء . . وعلى ضوئه احتلت الخطابات صدارة الحكم الابتدائي في المرئيات : وسار النظار والمحكمون والنقاد على سنن الخطابات حتى النهاية ، فمن وجدها سراباً لمن الخطابات المترضة وطالب بتغيير المسميات أو تعديلها ، ومن وجدها نبعاً لا سراباً استنبط منها زاد المعرفة وأضاف إلى دعابة الأرض دعوة السماء « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

عندما بدأت في قراءة « كتاب فن الأدب » لاح أمامي عنوانه الدخيل على القدامى وقراء الأدب ، وعادت بي الذكريات إلى المساجلات بين نقاد الحكيم وعشاقه ، وتذكرت صديقي الذي جن بأسلوبه كما جن « قيس بحب ليلى »

وقد استقبلت هذا الكتاب بتلك الخواطر فما كدت أرى دقة معانيه البارزة في ربط ماضي الأدب بحاضره ومستقبله ، وقوة تعبيره في مزج فريده بشرقيه وسلامة خياله في إدماج القصة بالتصوير ، وسرعة الخاطر في مسايرة المسرح والإذاعة والسينما ، حتى كون إرهاصاً في ربط مستحدثات الأدب بمناهل لغة الضاد بعد أن سهكها بالفارسية ومزجهما بتلبد الأدب في الجاهلية وبعد الفتوح الإسلامية تدرج من أدب القفرة إلى أدب الواحة إلى أدب المدينة ، ومن أدب النابة إلى أدب الحانة ، ومن أدب الدف والمزمار إلى أدب الدوتة والأوتار ، بعد أن سار في أسواق عكاظ ونقل من محاسن باريس وبغداد خلاصة تأملاته بين الدائن والتفار

بعد هذا كاد أن يدركني جنون صديق في كتاب الحكيم الجديد وعجبت من التسمية التي لا تقرأ في عنوان الكتاب.. فإن الفن الذي يقصده بموازينه وأصوله التي تفرع منها المسميات الجديدة كالسينما وغيرها ليست كافية وليست أصيلة في التسمية بعد أن جعله جامعة عامة لفن الأدب والشعر فنه، وكذلك فإني أخالفه في التسمية كما أخالفه في بعض الآراء والنظريات، تاركا الحكم فيها للمحكمين من الأدباء وتقديرها للرأي العام بعد هذا

أوجه الخلاف : في صفحة ٨ تحليل دقيق للابتكار الأدبي استشهد فيه بشكسبير وما نقله عن بوكاشو وغيره من علماء الغرب : ولم أر استشهاداً لعالم شرقي « وما أكثرهم في هذا العصر » فهل عزت الفاضلة أم لم ينقل متقدم من متأخر ما يستحق التسجيل : أم شيء آخر ؟ وفي صفحة ١٤ مزج البلاغة والنقد لم أقنع بأسبابه ، فإذا أجازه كان ماجاء بصفحة ١٧ لا يصلح دستوراً لنقده الجديد لأنه واحد في جميع العصور .. وفي صفحة ٢٢ مراحل تنقلات الأدب الزمانية والمكانية واستشهادات عربية لم تر للأئمة الشرقيين المعاصرين من استشهادات أو عرض حتى للضروري من مستلزمات هذا التحول . وفي صفحة ٢٤ قال « إن الأدب الغربي لم ير في القرآن إلا نموذجاً لغويا ولم تر فيه النموذج الفني » فهل القرآن الذي لم يفرط في الكتاب من شيء قد أغفل هذا المستحدث الجديد.. أم عقلية معاصريه لم ترق في ذلك الحين إلى تذوق معانيه ولم يتدارك أحد هذا النقص إلى اليوم : أم هناك تقصير من المعاصرين وهم الذين نزل بلغتهم القرآن اقتضته كراهيتهم لصاحب الرسالة في بدئها فأوجبت هذا الإهمال الجسيم الذي ظل عالقا إلى الآن : أم كما قال المؤلف « إن وحي الأدب العربي لم يرد أن يتحرك لا إلى أعلى ولا إلى أسفل لا نحو القرآن ولا نحو الشعب حتى تدارك الجاحظ هذا النقص فساير الشعب فاستحق اللوم لركاكة الأسلوب وعاميته « كما صور »

ولم يسعف هذا النقص مقامات الحريري وبديع الزمان من حيث الفنية والفن لسجعها وبلاغتها المصطنعة. وفي صفحة ١١٩ مقارنات بين حقوق المرأة الغربية والشرقية وعدم تمتع الغربية بحقوقها الزوجية وتمتعها ببعض الحقوق الوضعية التي لا فائدة فيها في غير النظر ، وتمتع الشرقية بواجبات تتمنى الغربية أن تصل إليها، وهاتان مشكلتان تتطلب كل واحدة منهما البحث والإفصاح وفي صفحة ١١٢ عرض لكساد أسواق الشعر والأسباب وقد ذكر العلاج الانجليزي لهذا التدهور ولم يأت بجديد في الأدب العربي . وفي صفحة ١٨٧ إشادة بأثر الشعر الرديء في السينما ولم تر الأراجيز الحلية والأغاني البلدية في غير أسواق بعض العوام، أما القيم المعنوية والفنية فأثرها شائع بين العامة والخاصة

وبالنظر إلى كل باب من أبواب هذا السفر الجديد ترى فيه مدرسة قائمة في أسلوبها ومعانيها وتوجيهاتها ، فإذا جاز للعربية في تحولها الأدبي والفني وفي مستقبلها أن تضع فوق هامتها كتاباً نسجله للأجيال القادمة في سجلات الخلود ، فإن كتاب جامعة الأدب « لا فن الأدب » في نظري هو كتاب الجيل

اسماعيل كوكب

زينب

ملحمة من الشعر الوجداني

لشاعر شباب العراق الملهم

الأستاذ

عبد القادر رشيد الناصري

تزفها للطابع قريباً